

## الخلافاات النحوية في تسهيل ابن مالك

الدكتورة: حاجي زوليخة

جامعة ابن خلدون - تيارت - الجزائر

في القرن السابع هجري توهجت شعلة الدرس النحوي بعالمٍ فذٍ قدم الكثير في سبيل أن تبقى اللغة العربية قائمة وخالدة على مر العصور، هو العالم ذو العقل الراجح والفكر الثاقب ابن مالك الأندلسي . خلف لنا ابن مالك تراثا ضخما من مؤلفات وكتب نيفت الأربعين نالت رواجاً بين أوساط الدارسين والباحثين، ومن أشهرها: الكافية الشافية، الألفية، والتسهيل. في هذا الإطار تأتي هذه الصفحات من أجل تسليط الضوء على بعض القضايا المهمة التي تعرض لها ابن مالك في كتابه التسهيل وهي مسألة الخلافات النحوية.

الكلمات المفتاحية: ابن مالك: كتاب التسهيل: المسائل الخلافية: النحو.

### Grammatical Differences in Ibn Malik's Facilitation "Tasheel"

**Abstract:** In the seventh century AH, the flame of the grammatical lesson was lit/kindled by an exceptional scholar who did much for the sake of keeping the Arabic language upright and everlasting throughout the ages. He is the leading-minded and perceptive-thinking scientist Ibn Malik Al-Andalusi. He left us a huge legacy exceeding forty books and works that were popular among scholars and researchers, among the most famous of them are: the cure enough "ELkafia elchafia", the millennium and the facilitation "Elsaheed". In this context, these pages come in order to shed light on some of the important issues that Ibn Malik discussed in his book Al-Tasheel, which is the issue of grammatical disputes.

**Keywords:** Ibn Malik, Tasheel Book, Contentious issues, grammar

بين القرآن الكريم واللغة العربية تاريخ مشترك وصلة مترابطة وثيقة، بها أنزل وبه حفظت واستمرت وتطورت، فقد كان سببا في نشأة علومها وفي حركة التدوين والتأليف، وكانت سببا في توجيه قراءته وتفسير آياته. فالقرآن هو الضمان الإلهي للمحافظة على اللغة، والعامل الأساسي لبقائها واستمرارها قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>1</sup>.

تاريخ تسليم البحث: 14 أبريل 2017.

تاريخ قبول البحث: 16 أوت 2017.

## الخلاصة النحوية في تسهيل ابن مالك

وقد جدت من أجل المحافظة على القرآن الكريم وفهم أحكامه علوم كثيرة وفنون جديدة، ومنها علم النحو الذي نشأ شأنه في ذلك شأن كل علم جديد ممتزجاً بعلوم اللغة والأدب، ثم أخذ يستقل في دراساته من خلال بحوث العلماء لتمحيص مسائله ومباحثه. إن الشروع في صيانة اللغة بوضع ضوابط نحوية لها، بدأ في صدر الإسلام ثم خطا خطواته الأولى شيئاً فشيئاً خلال القرن الأول للهجرة وصدر الثاني. ثم أخذ ينشط أكثر فأكثر في أواخر القرن الثاني للهجرة وأوائل الثالث. ثم علا شأنه واشتهر أمره في القرن الخامس والقرن الرابع الذي تليه، فظهر الأعلام المشتغلون به والمؤلفون فيه من ذلك الحين إلى يومنا هذا. لقد استحوذ النحو العربي منذ ظهوره على قدر كبير من جهود علماء جهاذة قعدوا للدرس النحوي ووصفوا مؤلفات عديدة يفيد منها الدارسون اليوم. وعند الحديث عن هؤلاء العلماء يستوقفنا عالم جليل قدم الكثير للدراسات اللغوية عامة والنحوية خاصة هو ابن مالك صاحب الألفية.

ابن مالك<sup>2</sup> ( 600هـ - 672م).

هو أبو عبد الله جمال الدين محمد بن مالك الطائي الأندلسي الدمشقي شخصية معروفة في تاريخ الدرس النحوي العربي، وأكبر نحوي ظهر في القرن السابع للهجرة. والواقع أننا إذا استثنينا سيبويه شيخ النحاة- وصاحب الكتاب أشهر مؤلف في النحو، لا نكاد نجد عالماً ذاع صيته ونال شهرة في جميع الأقطار والأمصار مثل ابن مالك. ابن مالك عقلية مبدعة ومتفردة خلف لنا تراثاً نفيساً غاية النفاسة حيث أربت مؤلفاته الأربعين<sup>3</sup>، وهب الله لها ما وهب من قبول ورواج في شتى الآفاق.

غالبا ما يقترن اسم ابن مالك بالألفية<sup>4</sup>، وقد لقي هذا الكتاب رواجاً بين أوساط المتعلمين والدارسين منذ ظهوره إلى يومنا هذا، وقد حظي بعشرات الشروح<sup>5</sup> من قبل العلماء منها: شرح ابن الناظم ( ت 686هـ )، شرح ابن هشام الأنصاري ( ت 761هـ )، المسعى بأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، شرح بن عقيل ( ت 769هـ )، شرح المكودي ( ت 807هـ )، وشرح الأشموني ( ت 929هـ ) وغيرها.

غير أن الألفية على الشهرة الكبيرة التي ظفر بها - ليست أهم كتب ابن مالك النحوية، وإنما هناك التسهيل<sup>6</sup> الذي يعد بحق أهم كتاب من هذه الكتب، والذروة التي وصل إليها في دراسته النحوية.

### كتاب التسهيل:

تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد كتاب منثور موجز ومركز موضوعه النحو والصرف، تناولته صاحبه في ثمانين باباً تضمن أحد عشر ومائتين فصلاً، منها خمسة أبواب<sup>7</sup> للتصريف

ومخارج الحروف والإمالة والوقف والهجاء، ختم بها ابن مالك الكتاب، أما بقية الأبواب<sup>8</sup> فهي للنحو.

كثيرا ما يختصر اسم تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد بالتسهيل في الكثير من المصادر والمراجع.<sup>9</sup>

أما عن سرّ التسمية فلعل ابن مالك أحس بالصعوبة والغموض الذي اضطبغت به كتب النحو السابقة كالكتاب والجمل وغيرها من المؤلفات، فألف "التسهيل" ودعا به هذا الاسم الذي يتفق وغرضه الأساسي من التأليف.<sup>10</sup>

يوجد نسخ<sup>11</sup> كثيرة للتسهيل في فهارس المكتبات في مناطق مختلفة من العالم منها: نسخة برلين طبعت في دمشق سنة 745هـ، ونسخة باريس كتبت في غرناطة 860هـ، ونسخة الجزائر مأخوذة من نسخة برلين، وغيرها من النسخ.

طبع التسهيل عدة مرات فنشر في فاس سنة 1323هـ، وفي القاهرة 1967م، وفي دار الكتاب العربي بالقاهرة 1968م، وهي النسخة المتوفرة لدينا.

عني بشرحه الكثيرون، ومن شروحه<sup>12</sup> نذكر: شرح ابن مالك نفسه وهو غير كامل، شرح أبي حيان الأندلسي (ت 745هـ)، شرح ابن عقيل (ت 769هـ) المسعى: المساعد على تسهيل الفوائد، شرح الدماميني (ت 837هـ)، المسعى تعليق الفوائد على تسهيل الفوائد، شرح محي الدين عبد القادر بن أبي القاسم العبادي الأنصاري (ت 864هـ)، المسعى: هداية السبيل في شرح التسهيل.

التسهيل مؤلف متميز بقي إلى جانب الألفية - في جميع البيئات التي تعنى بدراسة العربية - مرجعا مهما للنحاة، ومقصدا للدارسين والباحثين، فهو يتميز بالاختصار والتركيز جعله ابن مالك لتلبية رغبة الطلاب والمهتمين بعلم النحو يقول فيه: "هو جدير أن يليّ دعوته الألباء، ويتجنب مناقضته النجباء"<sup>13</sup>.

نلمس في التسهيل طريقة جديدة في التبويب، وتقسيم فريد في نوعه بين كتب النحو، حيث قسم صاحبه بعض الأبواب إلى فصول، وجعل رؤوس المسائل الكبرى أبوابا وفروعها فصولا، يقول ابن مالك: "هذا كتاب في النحو جعلته بعون الله مستوفيا لأصوله، مستوليا على أبوابه وفصوله"<sup>14</sup>.

نلمح كذلك في التسهيل جهود ابن مالك في الدرس النحوي، حيث يتجلى ذلك من خلال الآراء الاجتهادية والانفرادية التي تميز بها العالم، فهو بذلك يفتح باب الاجتهاد أمام المتأخرين، يقول: "وإذا كانت العلوم منحا إلهية ومواهب اختصاصية، فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين"<sup>15</sup>.

## الخلافاة النحوية في تسهيل ابن مالك

يمثل هذا الكتاب خلاصة التجربة النحوية الطويلة والعميقة التي عاش ابن مالك لها ووهبها كل جهده وطاقته، فيها هو أبو حيان الأندلسي، وهو من أشد المخالفين له، يثني على كتاب التسهيل قائلاً: "والتزم أن يقرئ أحداً إلا إن كان في كتاب سيبويه، أو في التسهيل لابن مالك"<sup>16</sup>. ويقول في موضع آخر: "لا يكون تحت السماء أعلم ممن عرف ما في تسهيله"<sup>17</sup>.

### الخلافاة النحوية في التسهيل:

الخلاف بين النحاة مسألة قديمة تعود جذورها إلى زمن سيبويه (180هـ)، حيث أورد في كتابه أقوالاً كثيرة لشيخه الخليل بن أحمد (ت 175هـ) وخالفها، فعلى الرغم من أن نحوه هو نحو الخليل فنجده يخالفه في مسائل عديدة، ويرد عليه فيها ويضعف رأيه في بعضها<sup>18</sup>. ليتطور الخلاف في صورة واضحة المعالم بين سيبويه والكسائي، وبين سيبويه والأخفش الأوسط، وبين الكسائي والأخفش، وبين الفراء والكسائي<sup>19</sup>.

ويذهب الخلاف إلى أبعد الحدود حتى يبلغ المدارس النحوية، كالخلافاة المشهورة بين المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية، ولعل المسألة الزنبورية<sup>20</sup> كانت بدءاً لهذا الخلاف، يقول أحمد أمين: "الخلاف بدأ هادئاً بين الرؤاسي في الكوفة والخليل في البصرة، ثم اشتد بين الكسائي في الكوفة وسيبويه في البصرة"<sup>21</sup>.

وغيرها من القضايا الخلافية التي كانت محل دراسة الكثيرين من الباحثين والمؤلفين، كقضية السماع والقياس<sup>22</sup>، العامل والمعمولات<sup>23</sup>، قضية المصطلحات<sup>24</sup>، وغيرها من المسائل التي احتدم حولها النقاش بين علماء النحو.

لقد اهتم العلماء بهذه القضايا الخلافية فدفعهم الأمر إلى رصد جميع المسائل التي اختلف فيها النحاة وجمعوها في مؤلفات خاصة نذكر منها:

- ما اختلف فيه البصريون والكوفيون<sup>25</sup>.
- الخلاف بين النحويين للرماني<sup>26</sup>.
- اختلاف النحويين لابن فارس<sup>27</sup>.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين للأنباري<sup>28</sup>.
- التبيين للعكبري<sup>29</sup>.
- مسائل خلافاة في النحو للعكبري أيضاً<sup>30</sup>.

كانت هذه جولة سريعة حول تاريخ الخلافاة بين النحاة، أما عن كتاب التسهيل فمن الخصائص الواضحة فيه اهتمام ابن مالك بذكر مسائل الخلاف والحديث عن أصحاب المذاهب من القدامى والمتأخرين في أكثر من موضع، وفيما يلي ندرج لبعض هذه الخلافاة:

يقول ابن مالك في باب الإضافة : «تضاف أسماء الزمان المهمة غير المحدودة إلى الجمل فتبنى وجوبا إن لزم الإضافة، وجوازا راجحاً إن لم تلزم وصدرت الجملة بفعل مبني فإن صدرت باسم أو فعل معرب جاز الإعراب باتفاق والبناء خلافا للبصريين»<sup>31</sup> .  
ويخالف البصريين في مسألة النداء: «يقال للمنادى غير المصحح باسمه في التذكير يا " هن " يا " هنان " يا " هنون " ، وفي التأنيث يا هنت يا هنتان وياهنات، وقد يلي أواخرهن ما يلي آخر المندوب، ومنه يا هناه بالكسر والضم، وليست الهاء بدلا من اللام خلافا لأكثر البصريين»<sup>32</sup> .

• ويخالف الكوفيين والفراء في قضية تنازع العاملين معمولا واحدا: «إذا تعلق عاملان من الفعل وشبهه متفقان لغير توكيد، أو مختلفان بما تأخر غير سببي مرفوع عمل فيه أحدهما، لا كلاهما، خلافا للفراء نحو: قام وقعد زيد، والأحق بالعمل الأقرب، لا الأسبق خلافا للكوفيين، ويعمل الملقى في ضمير المتنازع مطابقا له غالبا، فإن أدت مطابقتها إلى تخالف خبر ومخبر عنه فالإظهار»<sup>33</sup> .

• ويخالف الكوفيين أيضا عند الحديث عن أصالة الفعل أم المصدر يقول: «المصدر اسم دال بالأصالة على معنى قائم بفاعل أو صادر عنه حقيقة أو مجازا، أو واقع على مفعول، وقد يسمى فعلا وحدئا وحدثانا، وهو أصل الفعل لا فرعه خلافا للكوفيين»<sup>34</sup> .

• ويخالف الكوفيين في مسألة التوكيد بقوله: «ولا يثنى "أجمع" ولا "جمعاء" خلافا للكوفيين ومن وافقهم، ويتبع "كله" "أجمع"، "وكلها" "جمعاء"، و"كلهم" "أجمعون" و"كلهن" جمع»<sup>35</sup> .

• ويخالف الكوفيين والأخفش ويعتبر "رب" حرفا وليست اسما يقول: «"زب" ويقال زب ورُب ورَب ورُبَّت ورُبْتُ ورَبَّ ورَبَّ ورَبْتُ ورَبْتُ وليست اسما خلافا للكوفيين والأخفش في أحد قوليّه، بل هي حرف تكثير»<sup>36</sup> .

• ويخالف الكسائي عند الحديث عن تثنية المقصور: «وإذا ثنى المقصور قلبت ألفه: واوا إن كانت ثالثة بدلا منها أو أصلا أو مجهولة ولم تُمل، و"ياء" إن كانت خلاف ذلك، لا إن كانت ثالثة واوي مكسور الأول أو مضمومه، خلافا للكسائي، والياء- في رأي- أولى بالأصل والمجهولة مطلقا»<sup>37</sup> .

• ويخالف الفراء في قضية إعراب الطرف "الآن": «"الآن" لوقت حضر جميعه أو بعضه وظرفيته غالبية لا لازمة، وبني لتضمن معنى الإشارة، أو لشبهه الحرف في ملازمة لفظ واحد، وقد يعرب على رأي، وليس منقولا من فعل خلافا للفراء»<sup>38</sup> .

## الخلافا للضميمة في تسهيل ابن مالك

● ويخالف الزجاجي في مسألة بناء الطرف "أمس" على الفتح: «ومنها أمس مبنيا على الكسر بلا استثناء عند الحجازيين، وباستثناء المرفوع ممنوع الصرف عند التميميين، ومنهم من يجعل كالمرفوع غيره، وليس بناؤه على الفتح لغة خلافا للزجاجي، فإن نكّر وكسّر أو صغّر أو أضيف أو قارن الألف واللام أعرب باتفاق، وربما بني المقارن لهما»<sup>39</sup>.

● ويخالف الكوفيين وابن كيسان في ترتيب المعارف: «الاسم معرفة ونكرة، فالمعرفة مضمرة وعلم، ومشار به، ومنادى، وموصول، ومضاف، وذو أداة. والنكرة ما سوى المعرفة، وليس ذو الإشارة قبل العلم، خلافا للكوفيين، ولا ذو الأداة قبل الموصول، ولا "من" و"ما" المستفهم بهما ومعرفتين، خلافا لابن كيسان في المسألتين»<sup>40</sup>.

● ويخالف الفراء في مسألة منع الصرف: «ولا اعتداد في منع الصرف بكون العلم مجهول الأصل أو مختوما بنون أصلية تلي ألفا زائدة، خلافا للفراء في المسألتين، ولا اكتراث بإبدال ما لولاه وجب منع الصرف»<sup>41</sup>.

● ويخالف البصريين في باب إعراب الفعل وعوامله: «يرفع المضارع لتعريفه من الناصب والجازم، لا لوقوعه موقع الاسم خلافا للبصريين»<sup>42</sup>.

● ويخالف الكوفيين في جواز إعمال "كيف": «وربما استفهم بـ"مهما" وجوزي بـ"كيف" معنى لا عملاً خلافا للكوفيين»<sup>43</sup>.

● ويخالف الكوفيين والكسائي في مسألة إعمال اسم الفاعل: «يعمل اسم الفاعل غير المصغر والموصوف خلافا للكسائي مفردا وغير مفرد عمل فعله مطلقا، وكذا إن حول للمبالغة من فاعل إلى فَعَالٍ أو فَعُولٍ أو مَفْعَالٍ خلافا للكوفيين»<sup>44</sup>.

● ويخالف الفراء في اسمية "نعم وبئس": «وليسا باسمين فيلينا عوامل الأسماء خلافا للفراء بل هما فعلان لا يتصرفان للزومهما إنشاء المدح والذم على سبيل المبالغة»<sup>45</sup>.

● ويخالف الفراء والفارسي في مسألة فاعل "نعم وبئس": «فاعل نعم وبئس في الغالب ظاهر معرف بالألف واللام، أو مضاف إلى المعرف بهما مباشرة أو بواسطة، وقد يقوم مقام ذي الألف واللام "ما" معرفة تامة، وفاقا لسيبويه والكسائي، لا موصولة خلافا للفراء والفارسي»<sup>46</sup>.

● ويخالف الأخفش في كسر ذال "إذ" الظرفية: «وكسرت الذال لالتقاء الساكنين لا للجر خلافا للأخفش»<sup>47</sup>.

كانت هذه بعض القضايا الخلافية الواردة في كتاب التسهيل والتي من خلالها يمكن القول أن ابن مالك لا ينتهي إلى مذهب بعينه، فهو يذكر القضايا أحيانا ويقف موقف الحياد منها ويكتفي فقط بذكر وجهات النظر، وفي أحيان أخرى يناقش تلك الآراء ويشارك فيها برأيه،

فيجتهد ليؤيد أو يخالف أو يستقل برأي ينفرد به. فالتسهيل مزيج من الآراء وابن مالك مدرسة مستقلة، فهو ليس بصريا خالصا، ولا كوفيا خالصا، بل ولا بغداديا ولا مغربيا خالصا.

### مراجع البحث وإحالاته:

- سورة الحجر، الآية 9. 1
- 2 ينظر ترجمته في بغية الوعاء، ج1، ص 132، وفوات الوفيات، ج2، ص 227. والسلوك للمقريني، ج1، ص 613، نفع الطيب للمقري، ج 1، ص 427، وشذرات الذهب لابن عماد، ج 5. ص 339
- 3 بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية بيروت، (دط- دت)، ج1، ص 132.
- 4 اسمها الحقيقي هو الخلاصة، وهي مختصرة من أرجوزته الكافية الشافية.
- 5 ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت (دط)، سنة 1992، ج1، ص 322 .
- 6 اسمه بالكامل: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد مطبوع بتحقيق محمد كامل بركات.
- 7 ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، تح: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ( 1388هـ- 1968م)، ص 290-337 .
- 8 ينظر: المصدر نفسه، ص 3-289 .
- 9 ينظر: بغية الوعاة، ج1، ص 132، فوات الوفيات، ج2، ص 227، السلوك للمقريني، ج1، ص 613، شذرات الذهب لابن عماد، ج 5، ص 339.
- 10- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، ، ص 64
- 11- المصدر نفسه، ص 68
- 12- المصدر نفسه، ص 78-79 .
- 13 المصدر نفسه، ص 1.
- 14 تسهيل الفوائد. ابن مالك، . ص 1
- 15 المصدر نفسه، ص 2
- 16 بغية الوعاة، السيوطي، ج1، ص 376.
- 17 المدارس النحوية، خديجة الحديثي، دار الأمل أربد-الأردن. ط1، ج2، ص 15.
- 18 نفع الطيب، المقري، مطلة الأزهرية، مصر (دط- دت)، ج2، ص 429.
- 19 ينظر: المدارس النحوية لشوقي ضيف، ص: 95، 96، 206، 207، والمدارس النحوية، خديجة الحديثي، ص15.
- 20 المدارس النحوية، شوقي ضيف، ص 160 .
- 21 ضحى الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ط 10 (دت)، ج2، ص 294.
- 22 ينظر المدارس النحوية شوقي ضيف، ص 159، والمدارس النحوية خديجة الحديثي، 130.
- 23 ينظر المدارس النحوية شوقي ضيف، ص 168، ومدرسة الكوفة، مهدي المخزومي، ص 260 .

- 24 ينظر المدارس النحوية خديجة الحديثي، ص 132، ومدرسة الكوفة، ص 303.
- 25 بغية الوعاة، السيوطي، ج 1، ص 19.
- 26 إنباه الرواة، جمال الدين القفطي، تح: أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب العلمية (1374هـ-1955م) ج 2، ص 195.
- 27 كشف الظنون، حاجي خليفة، ج 1، ص 33.
- 28 مطبوع ومحقق من طرف محمد معي الدين عبد الحميد.
- 29 مطبوع ومحقق من طرف عبد الرحمن العثيمين.
- 30 مطبوع ومحقق من طرف محمد خير الحلواني.
- 31- تسهيل الفوائد، ابن مالك، ص 159.
- 32 المصدر نفسه، ص 183.
- 33 المصدر نفسه، ص 86.
- 34 المصدر نفسه، ص 87.
- 35 المصدر نفسه، ص 165.
- 36 المصدر نفسه، ص 147.
- 37 تسهيل الفوائد، ابن مالك، ص 16.
- 38 المصدر نفسه، ص 95.
- 39 المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- 40 المصدر نفسه، ص 21.
- 41 المصدر نفسه، ص 220.
- 42 المصدر نفسه، ص 228.
- 43 تسهيل الفوائد، ابن مالك، ص 236.
- 44 تسهيل الفوائد، ابن مالك، ص 136.
- 45 المصدر نفسه، ص 126.
- 46 المصدر نفسه، ص 126.
- 47 المصدر نفسه، ص 92.